الزمر.. الزعيم النرجسي

لا يمكن لأي صحفي أن يجرى حوارًا مع عبود الزمر بسهولة.. بل في الفترة الأخيرة هو من رابع المستحيلات.. أنا جربت ذلك كثيرًا وفشلت مؤخرًا، كما حاولت الاتصال به تليفونيًا أيضًا ولاحقني نفس الفشل.. الأمر صعب للغاية بنفس صعوبة مقابلة أى عضو في الجماعة لعبود أيضًا.. الرجل يعيش في تابوه خاص.. يتصور أن الانعزال عن الآخرين، والخروج عليهم فجأة بمقال بموقع إلكتروني، أو الإطلالة بـ(تويتة) يقيه شر الانتقادات التي هو أكبر منها، أو يعطى ما يقوله زخمًا وأهمية!!.

اقتربوا أكثر من الزمر لتعرفوا أنه يتصور أنه رمز من رموز مصر كلها والوطن العربي ، فهو رمز للجماعة الإسلامية، وهو من قيادات الإخوان، وهو زعيم لحركة ٦ إبريل، وهو مؤسس تنظيم القاعدة، وهو من جهاز المخابرات، وهو من قيادات الجيش وصانعي تاريخه، هو كل شيء!!

أى مجموعة، أو حزب أو جماعة أو كيان، حينما يجلسون مع عبود الزمر يخرجون بهذا الانطباع، أن الرجل يتكلم باسم الجميع.. ألم تلاحظوا آخر مقالاته بالأسبوع الماضي، التي كتب فيها، ماذا لو كنت مكان مرسي وعدلي منصور والسيسي؟!!.. هو يفهم أكثر عن الثلاث رؤساء، ويضع روشتة لعلاج كل مشاكل مصر، وهو يحتسى فنجانًا من القهوة، في منزله بمنطقة ناهيا.

ألخص لكم الموضوع برمته، بكلمات قالها الرئيس الأسبق حسنى مبارك عن عبود الزمر، في حوار مع جريدة «نيويورك تايمز» عقب توليه رئاسة مصر، إن عبود «ولد معقد نفسيا مر بظروف دفعته إلى التطرف».

لعلكم لا تصدقونني أو تصدقوا مبارك، فلتقرأوا ما قاله الزمر بنفسه لصحيفة إيلاف السعودية، عقب الإفراج عنه بأيام، إنه نادم على التدخين، وتشجيع النادي الأهلي، ولعب الشطرنج، وارتياد دور السينما، والتصويب على القطط ببندقيته، وترويع زملائه في الجيش حين كان ضابطا بالقوات المسلحة بثعبان احتفظ به في جيبه لفترة من الزمن، موضحا أنها سلوكيات «غير نافعة، وتلهي عن عبادة الله».. أكيد من يقول ذلك شخصية غير طبيعية.. المسألة برمتها كلها أن الجماعة الإسلامية، التي أعلن الزمر في عام ١٩٨٩ انضمامه لها وتركه جماعة الجهاد، لأن الأولى وفق رأيه هى الوحيدة التي تجاهد في مصر، هى أو هو أو هما الاثنان معًا، خططوا لجعل الزمر زعيمًا، وصناعته بهذا الشكل الذي تحدثت عنه الأسطر السابقة.

عبود عبد اللطيف حسن الزمر مواليد ١٩ـ٨ـ١٩٤٧ بقرية ناهيا بمحافظة الجيزة، حصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة الجيزة المستقلة، والإعدادية من مدرسة أبو الهول، والثانوية من مدرسة السعيدية، ثم التحق بالكلية الحربية عام ١٩٦٥، وتخرج منها عام ١٩٦٧ في أعقاب النكسة مباشرة ضمن الدفعة رقم ٥١، وأسرته تنتمي إلى الأشراف، وتقلد أفرادها العديد من المناصب الرسمية وغير الرسمية.

لا نستطيع أن ننكر أن الزمر شارك في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وتم ترقيته وهو بميدان المعركة إلى رتبة نقيب تقديرا له ولدوره المشرف وبسالته في الحرب، وحصل على ترقية استثنائية في ميدان القتال أثناء حرب ١٩٧٣ حيث رقي إلى رتبة نقيب لجهوده في الحرب، لكن هذا لا يعنى أنه بمفرده من حصل على ذلك، أو لا يعنى أن ما حصل عليه يجيز له فعل أى شيء، أو قول أى شيء، أو إطلاق الفتاوى الفقهية الشرعية والسياسية بدون حساب أو رقيب.

إن الزمر تصور أن عمله في المخابرات الحربية لعدة أشهر أعطاه شهادة ضمان مدى الحياة، رغم أن ما يفصل بينه وبين عمله بالمخابرات الآن حوالي ٤٤ عامًا، تغيرت فيها مصر، وتغير كل شيء، وتغيرت فيها حتى العلوم العسكرية الحديثة.

هل تصدقون أن خيال الزمر ذهب به، إلى أن يتصور أنه يستطيع وضع خطة لتحرير القدس، وبالفعل قدّم هذه الخطة، إلى اللواء أحمد

رأفت، المشرف على عملية مبادرة وقف العنف!

زواج عبود الزمر من أم الهيثم، ابنة عمه وابنة خالته في ذات الوقت، شقيقة طارق الزمر، كان هو الطريق لدخول الزمر إلى جماعة الجهاد.

كما ساهم طارق الزمر في إدخال شوقي الشيخ مؤسس جماعة الشوقيين إلى الجهاد، أدخل ابن عمه عبود إلى التنظيم أيضًا.

في البداية بدأ عبود الزمر يحرص على حضور خطب الشيخ إبراهيم عزت مؤسس جماعة التبليغ بمصر، بمسجد أنس بن مالك، بالمهندسين، والرجل الخطيب المفوه، الذي كانت القلوب تهواه، وكان مؤثرًا للغاية فيمن حوله، وتخرج من تحت يده، خالد الإسلامبولي، ومحمد عاطف، نائب بن لادن ومخطط ضرب البرجين في ١١ سبتمبر بأمريكا، وكذلك عبود.

تأثر أيضًا بشرائط الشيخ عبد الحميد كشك، فترك التدخين، وبدأ يقرأ لابن تيمية، وكان يعيش في صراع كيف يخدم في الجيش، ووجوده به يمكن أن يجعله يشارك في حرب عسكرية، مع حكومة لا تطبق الشريعة، وستصطدم في يوم ما مع التنظيم، فماذا لو أمروه بقتال محمد عبد السلام فرج مثلًا؟.

قرر الزمر الاستقالة من الجيش، لكن طارق أقنعه بالعدول عن ذلك، واستغلال وجوده في التخطيط لعمل انقلاب عسكري، وفى هذه الأثناء التقى بكرم زهدي أمير الجماعة الإسلامية، واتفقوا جميعًا

على توحيد التنظيمين، واختيار عمر عبد الرحمن مفتيًا له، ومحمد عبد السلام زعيمًا.

محمد كروم الذي سنحت له الالتقاء بالزمر في سجن ليمان طره، قال في تصريح خاص لى، إن الزمر سأل عمر عبد الرحمن "هل يحل دم حاكم لا يحكم طبقًا لما أنزل الله؟" وكانت إجابة الشيخ "نعم يحل دم مثل هذا الحاكم لأنه يكون قد خرج إلى دائرة الكفر".

كانت خطة الزمر من ثلاثة مستويات تشمل التدريب النظري العسكري ثم التدريب على السلاح والمتفجرات والتدريب التكتيكي على العمليات الخاصة، ثم تدريب كل شخص على المهمة المنوط به تنفيذها، وأعد عددا من عناصر التنظيم لتدريب باقي الأفراد تحت إشرافه، وكان حريصًا على ألا يعرف أي عضو في التنظيم أكثر مما ينبغي، ووضع قيودًا على تداول المعلومات لضمان عدم تسربها إلى الجهات الأمنية، وبعد أن اشتد عود التنظيم وزاد عدد عناصره داخل الجيش، قرر الزمر التخلص من السادات لعدم حكمه بالشريعة الإسلامية واستهزائه بالحجاب، وقوله عليه خيمة ولإعدامه صالح سرية وكارم الأناضولي، وتوقيعه معاهدة كامب ديفيد، وإغلاقه الباب أمام مقاتلة اليهود، وتوجيهه ضربة مسلحة الى ليبيا.

حاول الزمر أن يغتال السادات في استراحة القناطر، وفي خطابه الذي ألقاه يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر من عام ١٩٨١ قال السادات "إنني أعرف أن هناك ضابطًا منهم هاربًا. وربما يكون يسمعني الآن.

قد اعتقلنا كل الآخرين في ٥ دقائق وإذا كان هو قد تمكن من الفرار فإنني أقول له إننا وراءه هو الآخر".

في اليوم التالي لخطاب السادات استقبل الزمر القيادي صالح جاهين، الذي حصل فيما بعد على حكم ١٥ عامًا في اغتيال الراحل السادات.. كانت معه خطة محمد عبد السلام لاغتيال الرئيس في المنصة.. رفض الزمر، وقال قولته الشهيرة: "الفيل لا يستطيع الدخول من خرم إبرة".

في التحقيقات التي جرت فيما بعد مع عبد السلام فرج قال إن رفض الزمر لم يعن له شيئًا فهو أي فرج فقيه الجماعة وأمره نافذ وأن الزمر يعرف ذلك.

كان الزمر يرى أن الخطة لكى تنجح فلا بد أن يتم تنفيذها في عام ٨٤ وليس ٨١، ثم عمل انقلاب عسكري، مدعومًا ثورة شعبية لتغيير نظام الحكم.

فشلت خطة عبد السلام والزمر، وألقى القبض على عبود وابن عمه، بعد ان سلما أنفسيهما لقوات الجيش، وظهر بعدها في المحكمة بلباسه العسكري.

الخلافات دبت داخل المعتقل بين قيادات تنظيم الجهاد وقيادات الجماعة الإسلامية، وكل منهما انفصل عن الآخر، في خلافات حول العمل الثرى والعلني، وإمامة الضرير، والعذر بالجهل وغيرها، وتولى

الزمر قيادة الجهاد عقب إعدام محمد عبد السلام، لكنه في ٨٩ انفصل عن التنظيم، وأعلن عودته للجماعة، وقدم مشروعًا في عام ١٩٩٢ يدعو فيه لعمل جبهة مثل جبهة إنقاذ الجزائر بقيادة عباسي مدنى.

لم يستطع عبود البقاء في السجن صامتًا أو بعيدًا عن المشهد، فكان كل عدة أشهر يخرج ببيان، أو مشروع، ليتم استكمال مشروع صناعة الزعيم الملهم.

خرج عبود من داخل سجنه بما يسمى بوثيقة البديل الثالث كمشروع مطروح للنقاش يمثل الجانب الفكري والسياسي لمن أراد أن يتعرف على وجهة نظره.

ودعا في بيان أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بمراجعة أنفسهم وعملياتهم المسلحة داخل المجتمعات الإسلامية ومراجعة بن لادن لفتواه باستباحة دماء المدنيين، رغم أنه أول من شرعن العمل المسلح.

وطلب في مرة من إدارة مصلحة السجون التبرع بأعضائه للفلسطينيين إذا ما وافته المنية في محبسه، وكذلك طلب السماح له بالتبرع بالدم للفلسطينيين أثناء العدوان الإسرائيلي على غزة.

لما خفتت الأضواء من حوله، فوجئنا بطلبه التقدم لانتخابات مجلس الشعب عام ٢٠٠٥، وتقديمه برنامجا يتضمن رؤية شاملة لحكم البلاد.

في إحدى المرات طلب الحصول على عضوية نقابة الأشراف،

باعتباره شريفًا قرشيًا، كما لجأ للقضاء للذهاب إلى الحج وهو في السجن، والسماح له بالترشح لانتخابات رئاسة الجمهورية.

قامت ثورة ٢٥ يناير، وأفرج عن الزمر، وكان أول تصريح له، أنه لم يتنازل، وأصبح نجمًا للفضائيات والحوارات الصحفية، قبل أن يمتنع عنها، فكتب مقالًا بعنوان "كيف أضر حبيب العادلي بالأمن القومي؟"، رغم أنه جلس مع العادلى أكثر من مرة من أجل إنجاح مبادرة وقف العنف.

نجم الفضائيات عبود الزمر، حل ضيفًا على خيري رمضان، الذي أصر على مدحه قائلًا: "بسم الله ما شاء الله. لا السجن ولا السجان أثروا فيك ولا أخدوا منك.. أنا مبسوط وسعيد ومش مصدق أن حضرتك بتتكلم معي في تليفزيون مصر".

أما منى الشاذلي، فقد قال أمامها وهى صامتة، إن سامى عنان كان دفعته وصديقه، وإنه لا مانع لديه من سفك بعض الدماء من أجل إقامة الدين، لأنه أعظم حرمة، كما حكى عن بطولاته وأنه حوصر مع مجموعة من أفراد قوته، وطلب الإسرائيليون منه الاستسلام لكنه رفض وبدأ في إطلاق النار علي الدبابات الإسرائيلية التي أسرعت بالتقدم نحوه، وهو ثابت إلى أن دهسته جنازير الدبابات، وهو يهتف باسم مصر وباسم الإسلام!!.

عقب سقوط الإخوان، خرج علينا الزمر بلون جديد، إذ حرص دائمًا بشدة على التزام نهج المناورة والغموض وصولًا لتحقيق عدة

أهداف، أولها: الإبقاء على وجوده كرمز دون تغيير، وثانيها: عدم فقدانه مكانته التاريخية التي اكتسبها على خلفية كاريزما ضابط المخابرات الانقلابي الثابت على مبدئه، وثالثها: إحداث توازن داخل الجماعة لإثبات أنها تدار بالديمقراطية وبرأي الأغلبية.

يبدو الزمر من كتاباته الأخيرة وتصريحاته كمعارض للاستمرار في تحالف الإخوان ورافض للتصعيد، ومن المطالبين بمراجعة وتصحيح الأخطاء، إلا أنه في النهاية يقبل برأي المجموع وأنه لا يقدر على إلزام الجماعة برأيه الشخصي ما دامت الأغلبية لا ترى ذلك.. وتلك لعبة يجيدها.

وتدخل أطروحات الزمر التنظيرية ضمن أساليب امتصاص الضربات والتقاط الأنفاس، وتحويل الأنظار عن الجماعة وقياداتها في الداخل، وإظهار الجماعة الإسلامية كأنها ليست على وفاق وانسجام مع الإخوان على غير الحقيقة، لاحتواء حركات الانشقاق داخل الجماعة، وتشتيت جهود المنشقين الساعية لحظر الجماعة، أو تصنيفها إرهابية، ولتفادى تحمل مسئولية العنف والتفجيرات في الشارع، فيمَ يباشر قيادات الخارج الشحن والتحريض والتصعيد.

ويحرص الزمر على إظهار أن الموقف العام للجماعة التي يترأسها هو وأسامة حافظ التزام السلمية، والسير على نهج مبادرة وقف العنف، وأنها تسعى لحل الأزمة سياسيًا مع الدولة وذلك في أكثر من مقال (أليس هذا بالتحاور والتفاوض؟).

عبود الزمر يعالج أزمة الجماعة الإسلامية بأسلوب رجل المخابرات المناور، بالوقوف في المنطقة الضبابية فلا هو اتخذ قرارات قوية وواضحة بالخروج من تحالف الإخوان، والعمل بإرادة منفردة وباستقلالية في المشهد السياسي، ولا اتخذ موقفًا قويًا ومعلنًا من الإخوان وتحول شبابها للعنف والتكفير، وتبقى تنظيراته لمجرد المناورة والخداع التكتيكي وصرف الأنظار عن الجماعة وممارسات قياداتها الهاربة بالخارج.

عبود الزمر، نرجسية، وخداع، وعقد نفسية، في تابوه، وخيمة مغلقة بناهيا، لتصنيع زعيم جماعة ملهم.

obeikandl.com